حُرمَة الظلم

٢٨ ـ يقول الحق سبحانه في الحديث القدسي:

«يَا عِبَادي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجعَلْتُهُ بَيْنكُمْ مُحرّماً، فَلَا تَظَالَمُوا»[١].

أَصْلُ الظلم هو محبة الانتفاع بجهد الغير، فعندما تظلم واحداً فهذا يعني أنك تأخذ حقَّه، وحقُّه ما جاء به بجهده وعرقه، وتأخذه أنت بدون جَهْد ولا عرق، ويتبع هذا أن يكون الظالم قوياً.

لكن، ماذا عن الذي يظلم إنساناً لحساب إنسان آخر؟

إنه لم ينتفع بظلمه، ولكن غيره هو الذي انتفع، وهذا شَرٌّ من الأول، لأنه ظلم إنساناً لِنفع عبد آخر، ولم يأخذ هو شيئاً لنفسه.

إذن: فالظلم إما أن يكون الانتفاع بثمرة جهد غيرك من غير كَدٍّ، وإما أن تنفع شخصاً بجهد غيره.

إن اللَّه يريد أن تكون حركة حياتنا نظيفة شريفة، حركة كريمة، فلا يدخل في بطنك إلا ما عرقت من أجله، ويأخذ كل إنسان حقه.

وهذا أمر دائر بين الحق والباطل.

والباطل زائل، وهو الذي لا يدوم، فهو ذاهب.

أما الحق فهو الثابت الذي لا يتغير.

لذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٩٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص١٧٢، ٤٩٠) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه.

فلا تأكل بالباطل، أي لا تأكل مما يملكه غيرك إلا بحق أثبته اللَّه بحكم.

فلا تسرق، ولا تغتصب، ولا تخطف، ولا ترتشِ، ولا تكُنْ خائناً في الأمانة التي أنت مُوكل بها، فكلُّ ذلك إنْ حدث تكون قد أكلتَ المال بالباطل.

وحين تأكل بالباطل فلن تستطيع أنت شخصياً أن تُعفي غيرك مما أبحْتَهُ لنفسك، وسيأكل غيرُك بالباطل أيضاً.

وما دُمْتَ تأكلُ بالباطل، وغيرُك يأكل بالباطل، هنا يصير الناس جميعاً نَهْباً للناس جميعاً، لكن حين يُحكم الإنسان بقضية الحق فأنت لا تأخذ إلا بالحقّ، ويجب على الغير ألَّا يُعطيك إلا بالحقّ.

وبذلك تخضع حركة الحياة كلِّها لقانون ينظم الحق الثابت الذي لا يتغير.

لماذا؟

لأن الباطل قد يكون له عُلُو، لكن ليس له استقرار.

ويضرب لنا الحق سبحانه مثل الحق والباطل، فيقول:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا(١) رَّابِيًا(٢) وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً(٣) وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

إنه سبحانه يعطينا من الأمور المُحَسَّة ما نستطيع أن نُميِّزَ من خلاله الأمور المعنوية.

فالحق سبحانه يُنزِل من السماء ماء فيسيل في الأودية، والوادي هو

(١) زبد الماء: ما يعلوه عند جيَشَانه واضطرابه من الرغوة وحطام الأشياء. وزبد المعادن: خبثها ونفايتها.

(٢) ربا الشيء يربو: زاد ونما. وارتفع وعلا على وجه الماء.

(٣) جفأ الوادي غثاءه: رمى بالزبد والقذى. وكذلك جفأت القدر: رمت بزبدها عند الغليان. (لسان العرب ـ مادة: جفأ).

المكان المنحصر بين جبلين، فإذا نزلت الأمطار على الأعالي فإنها تنحدر إلى الأسفل وتسيل في الأودية.

وكل وادٍ من الوديان يأخذ على قدر سعته، وباقي المياه يبحث له عن مسلك آخر، ولو إلى باطن الأرض.

ويأخذ السَّيل في طريقه أشياء كثيرة مثل جذور النباتات، وبقايا ما يحمله الهواء، والحق سبحانه يجعل هذه الأشياء تطفو على السطح، لأنها غُثَاء.

وساعة يطفو الغُثَاء، فإياك أن تفهمَ أن ذلك عُلُو، إنه عُلُو إلى انتهاء، كذلك فَوْرَة الباطل.

إياك أن تظن أن الزَّبَد له فائدة، أو أن ارتفاع الريم كان عُلُواً على ما في القِدْر.

لا، إنه تطهير.

وعلى هذا، فالحركة الحلال لا يكفي فيها أن تتحرك فقط، ولكن يجب أن تنظر إلى شرف الحركة بألَّا تكون في الباطل؛ لأن الذي يسرق إنما يتحرك في سرقته، ولكن حركته في غير شَرَف، وهي حركة حرام.

إذن: كل مسروق في الوجود نتيجة حركة باطلة، وكذلك الغَصْب، والتدليس[1]، والغِش، وعدم الأمانة في العمل، والخيانة في الوديعة، وإنكار الأمانة.

كل ذلك باطل، وكل حركة في غير مَا شرع اللَّه باطل، حتى المعونة على حركة في غير ما شرع اللَّه، كل ذلك باطل.

ويقول الحق سبحانه:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

والحق سبحانه لا يقول إلا الحق، فلا شيء خارج عن مُلْكه.

وهو سبحانه لا يريد الظلم على إطلاقه، من نفسه ومنكم أنتم أيها العباد.

---

(١) المدالسة: المخادعة. وقد دالس ودلَّس في البيع وفي كل شيء إذا لم يبين عيبه. والتدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري. (لسان العرب ـ مادة: دلس).

وللظلم مظاهر، كأن تأخذ إنساناً بغير جُرْم، أو أن تعاقب إنساناً فوق الجرم، أو ألَّا تعطي إنساناً مُسْتوى إحسانه.

والظالم يريد بظلمه أن يعود الأمر بالنفع له، فإنْ كان يريد أَخْذ إنسان بغير جُرْم فهو يفعل ذلك ليروي حِقْداً وغِلّا في نفسه.

وقد يُلفِّق لإنسان جُرْماً، لأنه يرى أن هذا الإنسان قد يُهدِّده في أيِّ مصلحة من المصالح، وهو يعلم انحرافه فيها، فيعتقله مثلاً، أو يضعه في السجن حتى لا يفضحه.

إذن: لا يمكن أن يذهبَ إنسان عن الحق إلى الظلم إلا وهو يريد أنْ يُحقِّقَ منفعةً أو يدفعَ عن نفسه ضَرَراً، واللَّهُ لن يحقق لذاته منفعة بظلم، أو يدفع ضرراً يقع ممن خَلقه عليه.

إنه مُنَزَّه عن ذلك، فهو القاهر فوق عباده.

والحق سبحانه إذا نظرنا إليه ـ وهو قوة القوى ـ إذا أراد أن يظلم ـ وحاشا للَّه أنْ يظلم ـ فماذا يكون شكل ظُلْمه؟

إن الظلم يتناسب مع قوة الظالم، فقوة القُوَى عندما تظلم فَظُلْمها لا يُطاق.

ثم، لماذا يظلم؟

وماذا يريد أن يأخذ، وهو مَنْ وَهَب؟

إنه سبحانه مُسْتغنٍ، ولن يأخذ من هذا ليعطي ذاك، فكلهم بالنسبة له سواء، لأنه سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، كلهم متساوون.

فلماذا يظلم؟

إن الظلم بالنسبة للَّه مُحَالٌ عقلياً، ومُحَالٌ منطقياً.

إن الحق سبحانه ينفي عن نفسه الظلم في قوله:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولم يَقُلْ: وما ربُّك بظالم للعبيد.

قالوا: لأن اللَّه لو أباح لنفسه الظلم فلن يكون ظالماً فقط، وسيكون ظلَّاماً؛ لأن الظلم سيتناسب مع قدرته وقوته.

ونحن قلنا: إن هناك أشياء تسمى مبالغات مثل قولك: فلان آكل. فكلنا آكلون. لكن إذا قلتَ: فلان أَكُول أو فلان أكَّال، فمعناها أنه يبالغ في الأكل، إما بزيادة الكمية التي يأكلها من الطعام، فيبالغ في الحدث في ذاته، وإما أنْ يأكل خمسَ مرات في اليوم مثلاً.

إذن: المبالغة في الوصف، إما أن تكون بتضخيم الحدث أو بتكراره. فأنت تقول مثلاً: فلان نَاجِر. أي: أمسك قطعة من الخشب وقَدُوماً وأخذ يَنْجر فيها، ولكنه ليس نجَّاراً؛ لأنه لا يعمل إلا أشياء بسيطة جداً، وليست عنده خبرة النجارة، لكن النجار حِرْفته النجارة.

إذن: المبالغة في الحدث تنشأ من أمرين:

من تضخيم الحدث في ذاته، أو من تكراره.

وحين يقول اللَّه تعالى:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فهو لم يَقُل: بظلام للعبد، ولكن للعبيد، فلو أنه سبحانه ظلم هذا العبد، وذاك، وغيره.. إلخ.

فهذا التكرار في الظلم يتناسب معه كلمة ظَلَّام، وليس كلمة ظالم.. وحاشَا للَّه أن يظلم.

واللَّه سبحانه لم يمتنع عن الظلم لأنه لا يستطيع أن يظلم، ولكن لأنه لا ينبغي له أن يكون ظالماً، لأن الظالم يأخذ حق غيره لنفسه، واللَّه يملك كل شيء في الوجود، فلا يمكن أن يظلم ولا ينبغي له.

إذن: عدم ظلمه سبحانه ليس عن ضعفه عن الظلم، ولكن لتنزّهه عنه.

ولذلك يقول الحق تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وكلمة «ما كان» تختلف عن كلمة «ما ينبغي»، فساعةَ تسمع «ما ينبغي لك أن تفعل ذلك» فهذا يعني أن لك قدرة على أن تفعل، لكن لا يصح أن تفعل، ولكن حين يُقَال: «ما كان لك أن تفعل»، أي: أنك غير مُؤهَّل لِفِعْل هذا مُطلقاً.

ومثال ذلك: أن يقال لفقير جداً: «ما كان لك أن تشتري فيديو»؛ لأنه بحكم فَقْره غير مُؤهَّل لشراء مثل هذا الجهاز.

لكن حين يُقال لآخر: «ما ينبغي لك أن تشتري فيديو». أي: عنده القدرة على الشراء، لكن القائل له يرى سبباً غير الفقر هو الذي يجب أن يمنع الشراء.

إذن: فهناك فَرْق بين نفي الإمكان، ونفي الانبغاء.

والحق سبحانه لا يظلم أحداً ولو مثقال ذرة، إذن: فهو ليس بظلّام للعبيد؛ لأنه لو ظلم كلّ عَبْد من عباده ذرة لكانت كمية الظلم هائلة لكثرة العباد، ولكن حتى هذه الذرة من الظلم لا تحدث من اللَّه سبحانه؛ لأن اللَّه ليس بظلّام للعبيد.

ورسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن اللَّه لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها للَّه في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»[1].

والظالم من البشر جاهل:

والظالم من البشر جاهل، لماذا؟

لأنه قوّى الذي ظلمه ولم يُضْعِفه، فالظالم يظلم لِيُضعِف المظلوم أمامه، فنقول له: أنت غبيّ، قليل الذكاء، لأنك قوّيته على نفسك، وفعلتَ عكس ما تريد.

ولنوضح ذلك ـ وللَّه المثل الأعلى ـ نحن جميعاً عيال اللَّه، فالواحد مِنَّا عندما يكون له أولاد، وجاء ولد من الأولاد وظلم أخاه، فقَلْب الوالد يكون مع المظلوم، ويحاول الوالد أن يترضّى ابنه المظلوم.

إذن: فالولد الظالم ضَرَّ أخاه ضرراً يناسب طفولته، ولكنه أعطاه نفعاً يناسب قوة والده، إنه يجهل حقيقة تقويته لأخيه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٠٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه.

وما دُمْنا جميعاً عيال اللَّه، فماذا يفعل اللَّه حين يرى سبحانه واحداً من خَلْقه يظلم آخر من خَلْقه؟

لا بُدَّ أن الحق سبحانه سيشمل المظلوم برعايته، وهكذا يُقوِّي الظالمُ المظلومَ، والظالم بذلك يعلن عن غبائه، فلو كان ذكياً لما ظلم، ولَضَنَّ على عدوه أنْ يظلمه، ولَقالَ: إنه لا يستأهل أن أظلمه، لأنه عن طريق ظلمي له سيعطيه اللَّه مكافأة كبرى، وهي أن يجعله في كَنَفِه[١] ورعايته مباشرة.

وقد نجد واحداً يظلم من أجل نَفْع عاجل، وينسى هذا الإنسان أنه لن يشرد أبداً ممن خلقه.

ونقول لمثل هذا الإنسان: أنت لن تشرد ممن خلقك، ولكنك شردت من المخلوق وداريتَ نفسك، وحاولتَ أنْ تحقق النفْع العاجل لنفسك.

لكن الخالق قَيُّوم، لا تأخذه سِنَةٌ[٢] ولا نوم.

وكأنَّ الحق سبحانه يُطمئننا بأنْ ننام مِلْءَ جُفوننا، لأنه سبحانه لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

والحق سبحانه يقول:

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

لأن الظلم لا ينشأ إلا عن إرادة نفعية بغير حَقٍّ، أو إرادة الضرر بغير جُرْم، واللَّه غنيٌّ عن ذلك.

ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

ويقول أيضاً:

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

---

(١) كنف اللَّه: حفظه ورحمته وبره. والمكانفة: المعاونة. وكنفتُ الرجل: حُطته وصُنْته. (لسان العرب ـ مادة: كنف).

(٢) السِّنة: النعاس من غير نوم. والوسن: أول النوم. والوسنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه. (لسان العرب ـ مادة: وسن).

فنحن الذين نظلم أنفسنا، بأن نُورِدها موارد التهلُكة والعذاب الذي لا مَنْجاة منه، دون أن نعطيها شيئاً.

فالدنيا ـ كما قلنا ـ عالم أغيار، والنعمة التي أنت فيها زائلة عنك، إما أنْ تتركها بالموت، أو تتركك هي وتزول عنك، وتخرج من الدنيا تحمل أعمالك فقط، كلُّ شيء زال وبقيتْ ذنوبك تحملها إلى الآخرة.

ولذلك، فإن كلّ مَنْ عصى اللَّه وتمرّد على دينه قد ظلم نفسه؛ لأنه قادها إلى العذاب الأبديّ طمعاً في نفوذ أو مال زال بعد فترة قصيرة، ولم يَدُمْ.

فكأنه ظلمها بأن حَرَمها من نعيم أبديّ، وأعطاها شهوة قصيرة عاجلة، لكن الذي يظلم نفسه ظُلماً شديداً وبيِّناً هو الذي يرتكب إثماً دون أن يأخذَ متعة في الدنيا.

فلا هو أخذ متعةَ دنيا، ولا أخذ متعة آخرة. مثل الذي يتطوع لشهادة الزور، فهو يأخذ عذاباً في الآخرة، ولم يأخذ متعة في الدنيا.

وقد حَرَّم الحق سبحانه البغي، وهو تجاوزُ الحدِّ في الظلم، وهو إفساد، لأن الإنسان إذا ما أخرج أيَّ شيء عن صلاحه يُقَال: «بغى عليه». فإنْ حفرتَ طريقاً مُمهَّداً، فهذا إفساد، وإن ألقيتَ بنُفاية[1] في بئر يشرب منه الناس، فهذا إفساد وبَغْي.

وأيُّ شيء قائم على الصلاح فتخرجه عن مهمته وتطرأ عليه بما يفسده، فهذا بَغْي.

والبَغْي: أعلى مراتب الظلم.

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ[2] مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ...﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) نفاية الشيء: بقيته وأردؤه. والنفاية بالضم: ما نَفَيْته من الشيء لرداءته. (اللسان ـ مادة: نفى).

(٢) الفحش والفحشاء والفاحشة: القبيح من القول والفعل، وجمعها الفواحش. وهي كل ما=

فالحق سبحانه يُحرِّم أن يبغي أحدٌ على أحدٍ، لا في عِرْضه، ولا في نفسه، ولا في ماله[١]، ويجب أن نصونَ العِرْض من الفواحش؛ لأن كل فاحشة قد تأتي بأولاد من حرام، وإنْ لم تَأتِ فهي تُهدِر العِرْض، والمطلوب صيانته.

وكذلك لا يبغي أحد على حياة إنسان بأن يهدمها بالقتل[٢].

والحق سبحانه يصون المال فيمنع عنه البغي، فلا يأخذ أحد ثمرة عمل آخر وكفاحه عُدْواناً وظلماً[٣].

مظاهر البغي:

ومظاهر البغي كثيرة:

فمن البغي أن تأخذ سُلْطة قَسْراً بغير حَقٍّ، ولكن هناك مَنْ يأخذ سلطة قَسْراً وقَهْراً بحقٍّ.

فإنْ كنتَ ـ على سبيل المثال ـ تركب سفينة، ثم قامت الرياح والزوابع وأنت أمهر في قيادتها من ربّانها، أتترك الربّان يقودها، وربما غرقتْ بمَنْ فيها، أم تضرب على يده وتُمسِك بالدفة وتديرها لتنقذها ومَنْ فيها؟

إنك في هذه الحالة تكون قد أخذتَ القيادة بحقٍّ صيانة أرواح الناس، وهذا بغي بحق، وهو يختلف عن البغي بغير الحقّ.

= يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي. قال ابن الأثير: وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا. (لسان العرب ـ مادة: فحش).

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في سننه (١٩٢٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فُسْحة من دينه، ما لم يُصب دماً حراماً». أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٤)، والبخاري في صحيحه (٦٨٦٢).

(٣) عن خولة بنت عامر الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة». أخرجه البخاري في صحيحه (٣١١٨)، وبنحوه أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٦٤، ٣٧٨، ٤١٠).

وحتى نُفرّق بين البغي بحقٍّ والبغي بغير حَقٍّ، نقول:

إن هذا يظهر ويتضح عندما نأخذ مال السفيه[١] منه للحفاظ عليه وصيانته وتثميره له، فنكون قد أخذنا حَقّاً من صاحبه رعايةً لهذا الحق، فهو وإنْ كان في ظاهره بَغْياً على صاحب الحق إلا أنه كان لصالحه وللصالح العام.

فهذا بغي بحقٍّ، أو أنه سُمّي بَغْياً، لأنه جاء على صورة استلاب الحق من صاحبه ظُلْماً.

ويعطينا رسول اللَّه ﷺ صورة البَغْي الممثّلة في الاعتداء بالفساد على الأمر الصالح، فيقول ﷺ:

«أسرعُ الخير ثواباً: البرُّ وصِلَة الرحم. وأسرعُ الشرّ عقوبة: البَغْي وقطيعة الرحم»[٢].

فالباغي إنما يصنع خَلَلاً في توازن المجتمع، والذي يبغي إنما يأخذ حَقَّ الغير، ليستمتع بناتج من غير كدّه وعمله، ويتحول إلى إنسان يحترف فَرض الإتاوات على الناس، ويكسل عن أيِّ عمل غير ذلك.

وأنت ترى ذلك في أبسط المواقع والأحياء، حين يحترف بعضٌ ممَّنْ يغترّون بقوتهم الجسدية، وقد تحوّلوا إلى فتوّات يستأجرهم البعض لإيذاء الآخرين، والواحد من هؤلاء إنما احترف الأكل من غير بذل جَهْد في عمل شريف.

وقد ضرب الحق سبحانه المثل بقارون في البغي، فقال تعالى:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ[٣]

---

(١) السفيه: الخفيف العقل، الجاهل، الأحمق، الذي لا يحسن سياسة وإدارة ماله وغيره من شؤونه. (راجع: لسان العرب ـ مادة: سفه)، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٥، ٦].

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢١٢) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها. قال البوصيري في الزوائد: «في إسناده صالح بن موسى، وهو ضعيف».

(٣) ناء بحمْله ينوء: نهض بجهد ومشقة. وناء الحمل بالدابة: أجهدها وثقُل عليها وأمالها. (اللسان ـ مادة: نوأ).

﴿بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

فضرب الحق سبحانه به المثل، لأنه كان كثير المال بصورة لم يعهدها الناس، فهو فتوة الأغنياء وأصحاب المال والجاه.

وقارون كان عنده المال الكثير الذي يستطيع بسطْوته أن يظلم الناس ويبغي عليهم، والبغي إما أن يكون بالاستيلاء على حقوق الناس، وإما بالاحتقار والازدراء(١)، وإما بالبطر(٢) عليهم.

ويُعطينا الحق سبحانه نوحاً عليه السلام مع قومه، مثالاً على أن الازدراء نوعٌ من الظلم، فقال تعالى:

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

فنوح عليه السلام لن يطرد مَنْ آمن من الضعاف الذين تزدريهم وتحتقرهم وتتهكَّم عليهم عيون هذا الملأ الكافر؛ لأن نوحاً عليه السلام يخشى سؤال اللَّه ـ عز وجل ـ له إنْ سَدَّ في وجوه الضعاف أبواب الإيمان.

فأوضح نوح عليه السلام أنه لو طرد مَنْ يقال عنهم: «أراذل» لَكانَ معنى ذلك أنه يعلم النوايا، ونوح عليه السلام يعلم يقيناً أن اللَّه هو الأعلم بما في النفوس، لذلك لا يضع نوح نفسه في موضع الظلم لا لنفسه ولا لغيره.

فالبغي ـ إذن ـ هو عمل مَنْ يفسد على الناس حركة الحياة؛ لأن مَنْ يقع عليهم ظلم البغي، إنما يزهدون في الكَدِّ والعمل الشريف الطاهر.

وإذا مَا زهد الناس في الكَدِّ والعمل الشريف تعطلتْ حركة الحياة، وتعطلتْ مصالح البشر، بل إن مصالح الظالم نفسها تتعطل.

---

(١) الازدراء: الاحتقار والانتقاص والعيب. (اللسان ـ مادة: زري) ومنه قوله تعالى عن نوح مع قومه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

(٢) البطر: الطغيان في النعمة. والبطر: شدة المرح. وبطر الحق: أن لا يراه حقاً ويتكبر عن قبوله. (لسان العرب ـ مادة: بطر).

ولذلك قال الحق سبحانه:

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا . . . ﴾ [يونس: ٢٣].

وهنا يُبيِّن الحق سبحانه وكأنه يخاطب الباغي:

يا مَنْ تريد أن تأخذ حقَّ غيرك، اعلم أن قصارى ما يعطيك أَخْذ هذا الحق هو بعض من متاع الدنيا، ثم تُجازَى من بعد ذلك بنار أبدية.

وأنت إنْ قارنتَ زمن المتعة المغتصبة الناتجة عن البغي بزمن العقاب عليها لوجدتَ أن المتعة رخيصة هيِّنة بالنسبة إلى العقاب الذي سوف تناله عليها، ولا تأخذ عمرك في الدنيا قياساً على عمر الدنيا نفسها؛ لأن الحق سبحانه قد يشاء أنْ يجعلَ عمر الدنيا عشرين مليوناً من السنوات، لكن عمرك فيها محدود.

فاربأوا[1] بأنفسكم، وافهموا أن متاع الدنيا قليل، إنْ كان هذا المتاع نتيجة ظلمكم لأنفسكم؛ لأن نتيجة هذا الظلم إنما تقع عليكم؛ لأن مُقْتضى ما يعطيكم هذا الظلم من المتعة والنعمة هو أمر محدود بحياتكم في الدنيا.

وحياتكم فيها محدودة، ولا يظنُّ الواحد منكم أن عمره هو عمر البشرية في الدنيا، ولكن ليقسْ كلُّ واحد منكم عمره في الدنيا، وهو محدود.

وهنا يؤكِّد الحق سبحانه:

﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣].

وقد يتمثَّل جزاء البَغْي في أنْ يشاءَ الحقُّ سبحانه ألَّا يموتَ الظالمُ إلا بعد أنْ يرى مظلومه في خَيرٍ مِمَّا أُخِذ منه.

ولذلك أقول دائماً: لو عَلِم الظالم ما ادَّخره اللَّه للمظلوم من الخير، لَضمِنَ عليه بالظلم.

وعلى فَرْض أن الظالم يتمتَّع بظُلْمه وهو من متاع الدنيا القليل، نَجِد الحق سبحانه يقول:

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ . . . ﴾ [يونس: ٢٣].

---

(١) اربأوا: ارتفعوا واحذروا واتقوا. (اللسان ـ مادة: ربأ).

وحين نرجع إلى اللَّه تعالى فلا ظُلْمَ أبداً؛ لأن أحدكم لن يظلم أو يُظلم، فكل منكم سوف يَلْقى ما يُنبِّئه به اللَّه سبحانه إنْ ثواباً أو عقاباً، مِصْداقاً لقول الحق سبحانه:

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣].

وقد جاء الخبر عن نبأ الجزاء من قبل أن يقع؛ ليعلم الجميع أن لكل فعل مُقَابلاً من ثواب أو عقاب، كما أن في ذكر النبأ مُقدَّماً تقريعاً لمن يظلمون أنفسهم بالبغي.

والحق سبحانه لا يظلم أحداً، ومِصْداق هذا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤].

أي: أن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، ومن الظلم جَحْد الحق، وهذا هو الظُّلْم الأَعْلى، ومن الظلم أن يُعطِي الإنسان نفسه شهوة عاجلة، ليذوق من بعد ذلك عذاباً آجلاً، وهو بذلك يَحرِم نفسه من النعيم المقيم.

وهو حين يظلم نفسه يكون قد افتقد القدرة على قياس عُمره في الدنيا، فالعمر مهما طال قصير، فما دام الشيء له نهاية فهو قصير.

ومن الظلم أيضاً أن يستكثر الظالم نعمةً عند المظلوم، فيريد أنْ يأخذها منه.

ومثال هذا ما قصَّه الحق سبحانه في قرآنه:

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ[1] وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي[2] فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢١ ـ ٢٤].

---

(١) الشطط: مجاوزة القدر في كل شيء. والشطط: الجور في الحكم. وشطَّ في سِلْعته وفي حكمه: جاوز القدر وتباعد عن الحق، وجار في قضيته (اللسان ـ مادة: شطط).

(٢) عَزَّ: غلب وقهر. وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٦٢): «أخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي اللَّه عنه في قوله: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣]، قال: إذا تكلم كان أبلغ مني، وإذا دعا كان أكثر».

والخلطاء هم الشركاء، فكثير منهم يبغي بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضاً، مع أنهم أقبلوا على الشركة لِحُبِّ بينهم.

ولذلك فإن رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، فَلعلَّ بعضكم أنْ يكونَ ألحن[١] بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»[٢].

إن الرسول ﷺ يُعلِّمنا أنه بشر، أي: أنه لا يملك علم الغيب ومداخل المسائل، وعندما يرفع المسلمون إليه قضاياهم فقد يكون أحدهم أكثر قدرة على الفصاحة وذلاقة اللسان، ويستطيع أن يقلب الباطل حقاً، والآخر قليل الحيلة، فيحكم النبي بمقتضى البيّنة القضائية، ولكن الأمر الواقع يتنافى مع تسلسل الحق.

لذلك يعلمنا أنه بَشَرٌ، وأننا حين نختصم إليه يجب ألَّا يستخدم واحد منا ذَلَاقة[٣] اللسان في أَخْذ ما ليس له، لأنه حتى لو أخذ شيئاً ليس له، بحكم من الرسول ﷺ، فليعلم أنه يأخذ قطعة من الجحيم.

لذلك أقول: على كل واحد أن يُغربِلَ إيمانه، وينظر هل حياته في أعواض الأموال وأعواض التجارة، وأعواض المبادلات مستوية أو غير مستوية؟

فإن لم تكُنْ مستوية، فعليه أنْ يُفكِّر فيها قليلاً حتى يُعطي كل ذي حَقٍّ حَقَّه.

واعلموا أن اللَّه تعالى يسمع ويرى، وأن اللَّه خبير لا تَخْفى عليه خافية، فلا تخدعوا أنفسكم وتحسبوا أنكم إنْ أخفيتُم شيئاً عن عيون الخَلْق قد يخفى

---

(١) لَحن الرجل فهو لَحِنٌ إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره. ومعنى ألحن بحجته: أي أفطن لها وأجدل. وأراد أن بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره. (اللسان ـ مادة: لحن).

(٢) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٨٠)، وكذا مسلم في صحيحه (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها.

(٣) الذليق: الفصيح اللسان البليغ. (لسان العرب ـ مادة: ذلق).

على اللَّه أبداً، فلن يخفى شيء عن عيون الخالق؛ لأنكم إنْ عمَّيتم على قضاء الأرض، فلن تُعمُّوا على قضاء السماء.

يقول الحق سبحانه:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

فعِلْم اللَّه تعالى ليس مقصوراً على معرفة أمورهم هم، بل يعلم اللَّه سرَّهم ونجواهم، لأن صفته القيُّومية، وأنه علَّام الغيوب، يعلم غيب هذا، وغيب هذا، وغيب هذا.

وما هو السِّر؟ وما هي النَّجْوى؟

السر: هو ما تكتمه في نفسك ولا تُطلِع عليه أحداً، فليس السر هو ما تُسِرُّ به للغير؛ لأن هذه هي النجوى، وأَصْلُ النجوى البُعْد.

وحين يرغب إنسان أنْ يُكلِّم أحداً بكلام لا يسمعه غيرهما، فهو يستأذنه في الابتعاد عن بقية الجلوس ليتكلم معه كما يريد، أو يُخفِض من صوته فلا يسمعه سوى الإنسان الذي يريد أن يهمس له بكلمة، ولا يسمعها أحد آخر.

ولذلك سَمَّوها «المناجاة»، وهي كلام لا يسمعه القريب، لأنك خفضْتَ صوتك خَفْضاً يخْفى على القريب، فكأنه صار بعيداً.

إذن: فالسر هو ما احتفظتَ به في نفسك. والنجوى: هو ما أسررْتَ به للغير بحيث لا يعلمه مَنْ يجالسك.

يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ولا يمكن أن يكون الحق سبحانه وتعالى ظالماً يستكثر نِعَم عباده؛ لأنه مُنَزَّه عن ذلك، فضلاً عن أن خَلْقه ليس عندهم نعَم يريدها هو، فهو الذي أعطاها لهم، ولذلك لا يأتي منه سبحانه أيُّ ظلم، وإنْ جاء الظلم فهو من الإنسان لنفسه.

وقد عدَّد لنا الحق سبحانه أوجهاً كثيرة للظلم البيِّن، الذي هو أعظم الظُّلْم، فقال سبحانه:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ (١) وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

فعُمّار المساجد وزُوَّارها الدائمون على الصلاة فيها هم الذين يَرَوْنَ نور اللَّه، فكأن المساجد وهي بيوت اللَّه هي أماكن تلقِّي النور المعنوي من عند اللَّه سبحانه وتعالى، وهو النور الذي يعطينا ارتقاء الروح.

فالمساجد هي مطالع أنوار اللَّه تعالى، وهي التي يتنزَّل فيها النور على النور الذي يُصلح الحياة الدنيا ويرتقي بها، لأن أنوار اللَّه تدخل القلوب فتجعلها تطمئن، وتدخل النفوس فتجعلها تحِسُّ بالرضا والأمن.

فنحن في المساجد إنما نعيش في حضرة الحق تبارك وتعالى، نتلقّى منه التجلّيات والفُيوضات التي تعالج نفوسنا أكثر مما يعالجها أبرع أطباء العالم.

وأنت في بيت اللَّه تكون في ضيافة اللَّه، وأنت تعلم أنه إن جاءك أحدٌ في بيتك على غير دعوة فأنت تُكرمه، فإذا كان المجيء على موعد فكرمُك يكون كبيراً، فما بالُنَا بكرم مَنْ خلقنا جميعاً؟

إن الحق سبحانه وتعالى يجزيك من فَيْض كرمه من ساعة أن تنوي زيارته في بيته، فأنت في صلاة منذ أن تبدأ في الوضوء في بيتك استعداداً للصلاة في المسجد، لأنه سبحانه وتعالى يريد أن يُطيل عليك نعمة أنْ تكونَ في حَضْرته (٢).

فبيتُه مفتوحٌ دائماً حين يدعوك للصلوات الخمس، فهذا أمر ضروري، ولكن بين الصلوات الخمس إنْ أردتَ لقاء اللَّه فسبحانه يَلْقاكَ في أيّ وقت،

---

(١) الخزي: الفضيحة والهوان. وقد يكون الخزي بمعنى الهلاك والوقوع في بلية. (لسان العرب ـ مادة: خزي).

(٢) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت اللَّه، ليقضي فريضة من فرائض اللَّه، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» أخرجه مسلم في صحيحه (٦٦٦).

وتدعوه بما تشاء، وتُطيل في حَضْرته كما تريد، ولا يقول لك أحد: إن الزيارة قد انتهتْ.

فإذا أتى قوم يجترئون على مساجد اللَّه، ويمنعون أن يُذكرَ اسمُ اللَّه فيها، فمعنى ذلك أن المؤمنين القائمين على هذه المساجد ضعفاءُ الإيمان، ضعفاءُ الدين، تجرَّأ عليهم أعداؤهم.

لأنهم لو كانوا أقوياءَ ما كان يجرؤ عدوُّهم على أنْ يمنع ذكر اسم اللَّه في مساجد اللَّه، أو أنْ يسعى إلى خرابها، فتُهدم ولا تُقام فيها صلاة.

ولكن ساعةَ يوجد مَنْ يخرب بيتاً من بيوت اللَّه يهبُّ الناس لمنعه والضَّرْب على يده يكون الإيمان قوياً، فإنْ تركوه فقد هانَ المؤمنون على عدوهم.. لماذا؟

لأن الظالم الذي يريد أنْ يُطفئ مكان إشعاع نور اللَّه لخلْقه، يعيش في حركة الشرِّ في الوجود التي تَقْوى وتشتدّ كلما استطاع غير المؤمنين أنْ يمنعوا ذِكْر اسم اللَّه في بيته وأنْ يخربوه.

فلا يوجد أظلم ممَّنْ يمنع مساجد اللَّه أنْ يُذكَر فيها اسمه، أي: أن هذا هو الظلم العظيم.

وفي الوقت نفسه، فإن المؤمنين الذين سكتوا على هذا وتخاذلوا عن نُصْرة دين اللَّه والدفاع عن بيوت اللَّه، سيكون لهم أيضاً عذابٌ أليم.

إنني أُحذِّر كل مؤمن أنْ يتخاذلَ أو يضعُفَ أمام أولئك الذين يحاولون أن يمنعوا ذِكْر اللَّه في مساجده، لأنه في هذه الحالة يكون مُرْتكِباً لذنبهم نفسه، وربما أكثر، ولا يتركه اللَّه يوم القيامة، بل يسوقه إلى النار.

ويقول الحق سبحانه عن وَجْهٍ آخر من أوجه الظُّلْم:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ... ﴾ [الأنعام: ٢١].

يأتي على صيغة السؤال الذي لن تكون إجابته إلا الإقرار، ولا أحدَ أظلم ممّنْ افترى على اللَّه الكذبَ؛ لأنه أولاً ظَلم نفسه، وظَلم أمته.

وأوَّلُ ظُلْم النفس أنْ يرتضي حياة زائلة، وأنْ يترك حياة أبدية. وأما

ظُلْمه للناس فلأنه سيأخذ أوزارَ ما يفعلون، لأنه قد افترى على اللَّه كَذِباً.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ . . .﴾ [الأنعام: ٢١].

أي: قوَّل اللَّه ما لم يَقُله، أو كذَّب مَا قاله اللَّه، وكِلَا الأمرين مُسَاوٍ للآخر.

وكيف يفتري إنسانٌ الكذبَ على اللَّه؟

كأن يُبلِّغ الناس ويدَّعي ويقول: أنا نبيٌّ وهو ليس كذلك. هنا تكون الفِرْية على اللَّه، وإياك أنْ تظنَّ أنه يكذِب على الناس، لا، إنه يكذب على اللَّه، لأنه أبلغ أن اللَّه قد بعثَه وهو لم يبعثه.

والافتراء: كَذِب مُتعمّد مقصود، وينطبق ذلك على النبوات التي ادعيتْ، من مثل مُسَيْلمة الكذاب، سَجَاح، طُلَيْحة الأسدي، الأسود العَنْسي.

كُلُّ هؤلاء ادَّعَوْا النبوة، ومع ذلك لم يسألهم أحد عن المعجزة الدَّالة على نُبوّتهم؛ لأن كُلَّ واحد منهم عندما أعلن نبوته جاء بما يُخفِّف عن الناس أحكام الدين.

فواحدٌ قال: أنا أُخفِّفُ الصلاة، والزكاة لا دَاعِيَ لها. لذلك تبعهم كل مَنْ أراد أنْ يتخفَّف من أوامر الدين ونَواهِيه، مُوهِماً نفسه بأنه مُتديِّن، دون أنْ يلتزمَ بالتزاماتِ التديُّن.

وهذا هو السبب في أن أصحاب النُّبوات الكاذبة، والادعاءات الباطلة يجدون لهم أنصاراً من المنافقين، فالواحد من هؤلاء الأتباع قد يكون مُثقَّفاً ثم يُصدِّق دَجَّالاً يدَّعِي النبوة.

وتسأل التابع للدجال وتقول له: أسألتَ مُدَّعي النبوة هذا، ما معجزتك؟ وهذا أوَّل شَرْط في النبوة، ولم نجد أحداً سأل هذا السؤال قط، لماذا؟

لأن التديُّن فطرة في النفس، ولكن الذي يُصعِّب التدين هو الالتزامات التي يفرضها التدين، وعندما يرى التابعُ الضعيف النفس أن هناك مَنْ يُريحه من الالتزامات الدينية، ويُفهمه أنه على دين، ويُقلِّل الالتزامات عليه، لذلك يتبعه ضِعَاف النفوس، وتصبح المسألة فوضى.

لذلك يقول سبحانه:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ (١) ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ (٢) بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وإنكم تتعمَّدون الكذب على اللَّه لإضلال الناس، والحق سبحانه لا يهدي مَنْ يظلم نفسه، ويظلم الناس.

ويقول تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى (٣) لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢].

فلا أظلمَ مِمَّنْ يُكذِّب بالصدق، لأن تكذيب الصدق ينقل القضايا إلى نقيضها، وقد يحدث أنْ تكذِب على الناس لأنهم لا يعرفون الحقيقة، ولكن أنْ تكذبَ على اللَّه الذي يعرف الحقيقة سِرَّها وعلانيتها، فهذا هو الظلم لنفسك بعينه.

والظالم على أنواع.. ظالم في شيء أعلى أي في القمة، وظالم في مطلوب القمة، والظالم في القمة هو الذي يجعل للَّه شريكاً.

ولذلك قال اللَّه تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.. ﴾ [لقمان: ١٣].

وعلاقة الشرك بالظلم أنك جئتَ بمنْ لم يخلق ومَنْ لم يرزق شريكاً لمن خلق ورزق، لذلك كان هذا ظلم القمة، والظلم الآخر هو الظلم فيما شَرَّعْت القمة، بأنْ أخذتُم حقوق الناس واستبحْتُموها.

---

(١) الغمرات: جمع غَمْرة، وهي الشدة. وغمرات الموت والحرب: شدائدها. (لسان العرب ـ مادة: غمر).

(٢) عذاب الهون: الهوان الدائم الشديد. قاله ابن عباس. ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٢).

(٣) المثوى: الموضع الذي يُقام به. ثوى المكان، وثوى به: حَلَّ به، وأقام فيه، واستقر به. (القاموس القويم ١/ ١١٣).

في كِلتَا الحالتين لا يقع الظلم على اللَّه سبحانه وتعالى، ولكن على نفسك.. لماذا؟

لأنك آمنتَ باللَّه أو لم تؤمن، سيظل هو اللَّه القوي القادر العزيز، لن يُنقص إيمانُك أو عدم إيمانِك من مُلْكه شيئاً، ثم تأتي يوم القيامة فيُعذِّبك، فكأنَّ الظلمَ وقع عليك.

وإذا أخذتَ حقوقَ الناس فقد تتمتَّع بها أياماً أو أسابيع أو سنوات، ثم تموت وتتركها وتأخذ العذاب، فكأنك ظلمتَ نفسك ولم تأخذ شيئاً.

لذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧].

فَظُلْم الناس يعود على أنفسهم، لأنه لا أحدَ من خَلْق اللَّه يستطيع أنْ يظلمَ اللَّه سبحانه وتعالى.

وأعلَى مراتب الظلم هو الشرك باللَّه، وهو الظلم العظيم، ذلك أن الإنسان حين يظلم إنساناً آخر، ويأخذ منه شيئاً ليعطيه لآخر، فهل هناك إنسان يقدر على أنْ يأخذَ من اللَّه شيئاً؟

لا، فالإنسان لا يستطيع أنْ يظلم اللَّه، لكنه ينال عقوبة الشرك، وهذا ظُلم خائب للنفس، والذي يشرك باللَّه لا يأخذ إلا الخسَار، وذلك هو كُلُّ الخيبة.

لأن الظلم حينما يُحقِّق للظالم نَفْعاً فهو ظلم هيِّن، ولكن الظلم العظيم هو أنْ يشرك إنسانٌ باللَّه، ولا يأخذ إلا العقاب الصارم، فإذا كان المشرك يتأبّى على منهج اللَّه في الأشياء، فهل يجرؤ على أنْ يتأبّى على قَدريات اللَّه غير الاختيارية فيه كالموت مثلاً؟

والحق سبحانه يأمر الإنسانَ بالإيمان، ومتعلقات الإيمان من شهادة بوحدانيته وإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر ويأمره بالإسلام، ومتعلقات الإسلام وأركانه من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصَوْم رمضان، وحج البيت مَن استطاع إليه سبيلاً.

والمشرك يتأبّى على الإيمان والتكاليف، فهل يجرؤ على التأبّي على المرض أو الموت؟

لا، لذلك فهو يظلم نفسه ظُلْماً خائباً، والحقُّ سبحانه لا يهديه؛ لأن معنى الهداية هو أن يجد الإنسانُ مَنْ يدلُّه على الطريق الموصِّل للغاية، فَهَداه أي دَلَّه على الطريق الموصِّل للغاية.

ولا يتجنَّى سبحانه على خَلْقه فلا يهديهم، بل الذين ظلموا أنفسهم ولم يؤمنوا هم الذين لا ينالون عناية الحق سبحانه وتعالى باختيارهم.

فقمة الظلم هو الشرك باللَّه سبحانه، ثم بعد ذلك يتنزَّل إلى الظلم في الكبائر، ثم في الصغائر.

فالحقوق تختلف في مكانتها، فهناك حَقٌّ أعلى، وحَقٌّ أوسط، وحَقٌّ أَدْنى، فإذا جئتَ للحق الأَدْنى في أن تنقلَ الألوهية لغير اللَّه سبحانه وتعالى، فهذا قِمَّة الظُّلم.

والحق سبحانه يقول:

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . . .﴾ [لقمان: ١٣].

لأن في هذا نَقْلَ الألوهية من اللَّه سبحانه إلى غيره، ويا ليت غيره كان صاحبَ دعوة إلى نفسه، بل إن الظالم تطوَّع من نفسه بذلك، واتخذ من دون اللَّه شريكاً للَّه، وفي هذا تطوُّع بالظلم بغير مُدَّع.

وهَبْ أن اللَّه تعالى قال: لا إله إلا أنا، فإمّا أن القضية صحيحة، وإما أنها غَيْرُ ذلك، فإنِ افترض أحدٌ ـ معاذ اللَّه ـ عدم صِحتها، فالإله الثاني كان يجب أنْ يعلن عن نفسه، ولا يترك غيره يسمع له ويُعلن عنه، وإلا كان إلهاً أصمَّ غافلاً.

ولكن أحداً لم يعلن ألوهيته غير اللَّه سبحانه؛ لذلك تثبت الألوهية الواحدة للإله الحق سبحانه وتعالى.

وقد بيَّن لنا الحق سبحانه: لا إله إلا أنا، أنا الخالق، أنا الرازق. ولم يصدر عن أحد آخر دَعْوى بأنه صاحبُ تلك الأعمال.

إذن: فقد صحَّتْ الدعوى في أنه لا إله إلا اللَّه.

وما دُمْنا قد تحدثنا عن الظلم والظالمين، وأن اللَّه حَرَّمه على نفسه، وجعله بيننا مُحرَّماً، فلا بُدَّ أن نتحدث عن العَدْل الذي أمر به الحق سبحانه.

قال تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

لأن مجتمعاً ينفذ هذا هو مجتمع يصل صاحب الحقّ فيه إلى حَقّه، ويتنازل صاحب الفَضْل عن حقّه، وتستطرق النعمة إلى رحم كل إنسان، وإن مجتمعاً فيه هذا لمجتمعٌ سعيد، يسود فيه الحب والإيمان والإحسان.

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ(١) شَنَـَٔانُ(٢) قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

وحين يكون الواحد مِنَّا قوّاماً للَّه يكون قد استغلَّ حركة وجوده لخير خَلْق اللَّه، وهذا العمل مطلوب منك، ولا يكفي أن تكون حركتك مَحْصُورة في ذلك، بل يجب أن تمتدَّ أيضاً حركة حياتك لتكون شاهداً بالعدل، وكذلك تُوجّه للعدل مَنْ تُحدّثه نفسه أنْ ينحرف.

وحين تكون قوّاماً للَّه فهذا أمر حَسَن، وعليك أن تحاول إقناعَ غيرك بأن يكون قيامه للَّه، بأن تكون شاهداً بالقِسْط والعدل.

وحين تكون شاهداً بالقسط والعدل لا يتمادى ظالم في ظُلْمه، فالذي يجعل الظالم يشتد، ويستشري ظلمه، ويتفاقم شره هو أنه يجد من يُدلِّسُون على العدالة، ويسترون ويُخْفون العيوب، ويخادعون الناس.

لكن لو وُجد الإنسان الذي ينير الطريق أمام العدالة لما وُجد ظلم، لكن الظالم يحب مَنْ يُدلِّس عليه، فيقول لنفسه: إن فلاناً ارتكب جريمة مثل جريمتي ونال البراءة.

---

(١) لا يجرمنكم: لا يحملنكم بُغْض قوم أن تعتدوا. وقيل: لا يدخلنكم في الجرم. (لسان العرب ـ مادة: جرم).

(٢) الشناءة: البُغْض. شنئ الشيء وشناه أيضاً: أبغضه. وتشانؤوا: تباغضوا. والشانئ: المبغِض. (لسان العرب ـ مادة: شنأ).

وتدليس الشهادة يقود إلى خراب المجتمعات[١]، ولو أن المجتمع حينما يرى أن شهادة أفراده هي شهادة بالقسط وشهادة بالعدل، فإن كل فرد في المجتمع إذا هَمَّ بظلم يرتدع قبل أنْ يفعلَ الظلم، ولكانَ الظالم ينال عقابه، ويصير مثالاً لارتداع غيره.

والمؤمن مُطَالبٌ أولاً بالقيام للّه بإصلاح ذاته، ومُطَالب ثانياً أن يشهد بالقِسْط والعدل لإصلاح غيره.

وإياكم أن تُدخِلوا الهوى في مقاييس العدل. وهَبْ أن المسألة تتعلَّق بعدوّكم أو بخُصومكم، فالعدْل هنا أكثر أهميةً وأكثر وجوباً.

ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ . . .﴾ [المائدة: ٨].

أي: لا يحملنكم بُغْض قوم على ألَّا تعدلوا، فتعتدوا عليهم، فمَنْ له حَقٌّ يجب أنْ يأخذه، وإلّا سيكون البُغْضُ لصالح عدوكم، لأن اللّه سيعاقب المؤمن لو أدخلَ الهوى والبُغْض في إقامة الميزان العادل، فتحكيم البُغْض والعداء والهَوى يكون لصالح الخصوم.

ويضيف الحق سبحانه:

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . . .﴾ [المائدة: ٨].

والعدالة حين تُطلب مع الخَصْم هي تقريعٌ لذلك الخَصْم؛ لأنه خالف الإيمان، ومن المؤكد أن الخَصْم يقول لنفسه: إن عدالة هذا المسلم لم تمنعه من أنْ يقولَ الحق، ولا بُدَّ أن عقيدته تجعل منه إنساناً قوياً، وأن دينه الذي أمره بذلك هو نِعْم الدين.

إذن: ساعة تحكم أيها المؤمن بالعدل لخصمك فأنت تُقرِّعه لأنه ليس مؤمناً، لكن لو رأى خَصْمك أنك قد جُرتَ ولم تذهب إلى الحق، فأنت بذلك تُشجِّعه على أن يبقى كافراً، لأنه سيعرف أنك تتبع الهوى.

---

(١) عن أبي بَكْرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول اللّه. قال: «الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور»، فما زال يُكرِّرها حتى قلنا: «ليته سكت». أخرجه مسلم في صحيحه (٨٧) كتاب الإيمان، وكذا البخاري في صحيحه (٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣).

أما إذا رآك وأنت تقف موقفاً يُرضِي اللَّه مع أنه خَصْم لك، فهو يستدلّ من ذلك على أن العقيدة التي آمنتَ بها هي الحقَّ، وأنك تقيم الحقَّ حتى في أعدائك.

فإنْ كرهتَ إنساناً فلا يصحّ أنْ تظلمه، والحق سبحانه لم يُحرِّم البُغْض؛ لأنه مسألة عاطفية، ولكن التحريم ينحصر في الإقدام على عمل يُخِلّ بميزان العدل مع مَنْ تكره، ويجب أن يؤمنَ الإنسانُ إيماناً جازماً بأن مَنْ ظلمه بمعصية، فلا يجازيه الإنسان إلا بطاعة اللَّه.

إذن: فاللَّه سبحانه وتعالى لم يَنهَ عن الحب أو الكُرْه، ولكنه نهانا عن أن نظلم مَنْ نكره، أو نجامل مَنْ نحب على حساب الحق والعدل.

ويعطينا سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه صورة حيَّة لهذا، فقد قتل أبو مريم الحنفي[١] زيدَ بن الخطاب[٢] شقيق سيدنا عمر في معركة اليمامة، ثم دخل في الإسلام، فكان كلما مَرَّ أمام سيدنا عمر قال له: اصرف وجهك بعيداً عني، فإني لا أحبك.

فقال له أبو مريم الحنفي: أو عدم حُبِّك لي يمنعني حَقّاً من حقوقي؟ قال: لا. فقال الرجل: إنما يبكي على الحبِّ النساء.

إذن: أحبب مَنْ شِئْتَ، وأبغض مَنْ شِئْتَ، ولكن إياك أنْ تظلمَ الناس لمن أحببتَ، أو تظلم مَنْ أبغضتَ.

ولذلك يقول تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ . . .﴾ [الأنعام: ١٥٢].

إذا ما تعودتَ العدل في قَوْلك أَلِفْتَه وأَنِسْتَ به، وأحببتَه حتى في أعمالك الخاصة الأخرى.

---

(١) هو: إياس بن صبيح بن عبد عمرو الحنفي، يُكنى أبا مريم. قال ابن سعد: كان من أصحاب مسيلمة ثم تاب وحسن إسلامه وولي قضاء البصرة في زمن عمر. وذكر عمر بن شبة أن فتح رامهرمز كان على يديه. (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ١/ ١٢٠ ـ ٧/ ١٨٦).

(٢) هو أخو عمر بن الخطاب، أمه أسماء بنت وهب، من بني أسد، وكان أسنَّ من عمر وأسلم قبله وشهد بدراً والمشاهد واستشهد باليمامة، وكانت راية المسلمين معه سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر، وحزن عليه عمر حزناً شديداً. (الإصابة ٣/ ٢٧).

والقول منه الإقرار، فإن أقررتَ على شيء في نفسك فَقُلْه بالعدل والحق.

والشهادة، قُلْها بالحق. والحكم، قُلْه بالحق. والوصية، قُلْها بالحق. والفتوى، قُلْها بالحق.

إذن: فالحق في القول أمر دائر في كثير من التصرُّفات؛ لأنك إذا قلتَ بالحق أمكنك أنْ تعدِل ميزان حركة الحياة، فميزان حركة الحياة لا يختلُّ إلا إنْ رجح باطل على حقٍّ.

لأنك إذا حكمتَ لواحد بشيء لا يستحقه فقد أعطيته ما ليس له، وإنك بعملك هذا تجعل المتحرك في الحياة يزهد في الحركة، لكن إذا ما حافظتَ على حركة كل مُتحرِّك، وأخذ كل واحد حظَّه من الحياة بقدر ما يعمل اتّزنتْ كل الأمور، ولم يَعُدْ هناك قوم يعيشون على جَهْد غيرهم وعَرَق سواهم.

إذن: فقوْلُ العدل هو مَنَاط حركة الحياة الثابتة المستقيمة الرشيدة.

والذي يُؤثر في العدل هو الهوى، وحين يُوجَد الهوى فهو يحاول أن يُميلك إلى ناحية ليس فيها الحقّ.

وأُولى النواحي أنْ يكون الأمر مُتعلِّقاً بك أو بقرابة لك، وقد تريد إنْ حكمتَ ـ والعياذ باللَّه ـ باطلاً، أنْ تُسعِد ذا قُرْباك، وأنت بذلك لم تُؤدِّ حقَّ القرابة؛ لأن حقَّ القرابة كان يقتضي أن تمنع عنه كل شيء محرّم وتحمي عِرْضه، وتحمي دِينه قبل أن تحمي مصلحته في النفعية الزائلة.

ولذلك يأمرك الحق سبحانه بأن تقولَ الكلمة بالعَدْل، ولو كان المحكوم له أو عليه ذا قُرْبى؛ لأنك حين تحكم بالباطل فأنت في الواقع حكمتَ عليه لا له.

ويقول تعالى:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥].

وما دام المؤمن قد بدأ إيمانه بقمة القِسْط، وهو الإيمان، فليجعل القسطَ

سائداً في كل تصرُّفاته، وإياك أنْ تجعل القِسْط أمراً أو حَدَثاً يقع مرة وينتهي، بل افعل القِسْط في كُلِّ أمور حياتك.

ولا يكفي أن يكونَ المؤمن قائماً بالقِسْط فقط، بل لا بُدّ أن تكون الشهادةُ للّه. لماذا؟

هَبْ أن رجلاً كافراً باللّه ـ والعياذ باللّه ـ ويقيم العدل بين الناس، لكنه لا يدخل بذلك العَدْل في حيثية الإيمان، فالذي يدخل في حيثية الإيمان يكون قائماً بالقِسْط وفي باله اللّه.

وبذلك تكون الشهادة وإقامة حقوق اللّه لا لمنفعة ولا لغاية ولا لِهوىً ولا لغرض، وإنما ليستقيم كَوْنُ اللّهِ كما أراد اللّه، وإلا لو حكَم أحدٌ بهوىً لَفسَدت الأرض.

والحق سبحانه يقول:

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والذي يُفسِد ويُشوّش على العدل هو الهوى.

والمثل العربي يقول: «آفة الرأي هو الهوى».

وإياكم أيها المؤمنون واتباع الهوى، حتى لا تَفْسد قدرتكم على العدل، وتجنحوا بعيداً عنه.